آفَـــاتُ اللِّســَـانِ

(٧)

- إِفْشَـاءِ السِّـــر

- فُضُـولُ الْكَـلَام

للشيخ / ندا أبو أحمد

(إفشاء السر – فضول الكلام)

تمهيد

إن الحمد لله تعالى نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَن يهد الله فلا مضل له ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. . . .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠- ٧١]

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله ـ تعالى ـ وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أولا: إفشاء السر

إفشاء السر خيانة للأمانة، ونقض للعهد، وهو دليل على لؤم الطبع، وفساد المروءة، وكم طُلِّقَت من زوجات، وقُطِّعَت من أرحام، ومُزِّقَت من صداقات، وفُرِّق بين أخوين متحابين، وتهاجر متآلفين، وكم سُفِكَت من دماء، وكم سُلِبَت من حقوق، وكم قُطِعَ من صلة، وكم مُنِعَ من خير، وأحدث من ضرر، والسبب إفشاء السر.

الإفشاء لغة: يعني ظهور الشيء، يقال: فشا الشيء يعني ظهر، ***وقال الجوهري:*** "يقال: فشا الشيء يفشو فُشُوّاً: أي ذاع"

السر لغة: اسم لما يُسِرُّ به الإنسان، أي يكتمه.

إفشاء السر اصطلاحاً:

قال السفاريني رحمه الله: "إفشاء السر نشره وإذاعته (بين الناس)، والسر هو ما يكتم في النفس كالسَّرِيرة".

بتصرف (**عن غذاء الألباب:١/١١٥**)

وقال الكفوي رحمه الله: "إفشاء السر يكون بالكتابة والإشارة والكلام". (**الكليات للكفوي:١٤**)

- **الدافع إلى إفشاء السر ودلالته:**

قال الراغب رحمه الله: "إذاعة السر من قلة الصبر وضيق الصدر، ولا يوصف به إلا ضَعَفَة الرجال" والصبيان والنساء".

– ***وقال الماوردي*** رحمه الله: "في الاسترسال بإبداء السر دلائل على ثلاث أحوال مذمومة: **إحداها:** ضيق الصدر، وقلة الصبر، **الثانية:** الغفلة عن تَحَذُّر العقلاء، والسهو عن يقظة الأذكياء، ***وقال بعض الحكماء:*** "انفَرِدْ بسرِّك ولا تودعه حازماً فيزِلُّ، ولا جاهلاً فيَخُونُ، **الثالثة:** ما ارتكبه من الغَرَرِ، واستعمله من الخَطَرِ، ***وقال بعض الحكماء:*** "سرُّك من دمك، فإذا تكلَّمتَ به فقد أرقته".

(**أدب الدنيا والدين للماوردي: ص٢٩٥**)

• حكم إفشاء السر

قال السفاريني ﷺ: "يَحْرُم على كل مكلف إفشاء السر، قال: ولعله يَحْرُمُ حيثُ أُمِرَ بكتمه، أو دَلَّتْهُ قرينة على ضرورة كتمانه، أو كان مما يُكْتَمُ عادة، وقيل: الذي يحرم هو إفشاء السر المضر".

(غذاء الألباب:١/١١٦)

– ***وقال الغزالي*** ﷺ: "هو منهي عنه (إفشاء السر) لما فيه من الإيذاء والتهاون بحق المعارف والأصدقاء، وهو حرام إذا كان فيه إضرار، وهو من قبيل اللؤم إن لم يكن فيه إضرار"

(إحياء علوم الدين:٣/١٣٢)

– ***وذكر ابن بطال:*** "أن الذي عليه أهل العلم أن السر لا يباح به إذا كان على صاحبه منه مضرة"

(فتح الباري:١١:/٨٥)

– ***قال الجاحظ:*** "إفشاء السر: خُلُقٌ مُرَكَّبٌ من الخَرَقِ والخيانة، فإنه ليس بوقور مَن لم يضبط لسانه، ولم يتَّسع صدره لحفظ ما يُسْتَسَرُّ به" **(تهذيب الأخلاق:٣٠)**

• هل يجوز إفشاء السر للمصلحة؟

جاء في حديث أخرجه الإمام أحمد والبيهقي في "السنن" وأبو داود من حديث جابر ﷺ ***قال: قال رسول الله*** ﷺ: **"المجالس بالأمانة إلا ثلاثة: مجالسُ سفك دمٍ حرام، أو فرج حرام، أو اقتطاع مالٍ بغير حق"**

والمعنى أن ما يحدث في المجالس أمانة إلا ما يؤدي إلى إراقة دم من مسلم بغير حق، أو استحلال فرج حرام على وجه الزنا، أو استحلال مال من غير حله سواء من مال مسلم أو ذمي، فمن قال في مجلس: "أريد قتل فلان، والزنا بفلانة، أو اقتطاع مال فلان ظلماً"؛ لا يجوز للمسلمين حفظ سرِّه، بل عليهم إفشاؤه دفعاً للمفسدة.

– ***يقول المعز بن عبد السلام:*** "الستر على الناس من شيمة الأولياء، ولكن قد يجوز الإفشاء إذا كان في ذلك مصلحة، أو دفع ضرر، ويُستدَل على ذلك بما ذكره القرآن الكريم من إفشاء يوسف عليه السلام بسرِّ التي راودته عن نفسه، وسر النِّسوة اللاتي قطعن أيديهن، وإنما قال يوسف عليه السلام: "هي راودتني عن نفسي"؛ ليدفع عن نفسه ما تعرَّض له– أو ما يمكن أن يتعرَّض له – من قتل أو عقوبة، وكذلك قوله: "ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن"؛ ليدفع التهمة عن نفسه، فإن الملك لو اتهمه لم يُوَلِّه، ولم يُحْمَل على إحسان الولاية". **(شجرة المعارف والأحوال للمعز بن عبد السلام ص٣٨٩)** بتصرف

- **وإفشاء السر ينقسم إلى قسمين**

الأول: إفشاء سر النفس، والثاني: إفشاء سر الغير، وكلاهما مذموم، والأول أهون من الثاني.

أولا : إفشاء سر الإنسان نفسه

على الإنسان أن يستعين على قضاء حوائجه بالكتمان، ولا يُفشِي سرَّه لأحدٍ؛ لأنه ربما يكون ذلك سبب من أسباب فشله، أضف إلى هذا أنه ربما كان سبباً في ذلّه لمَن أفشىله سرا.

- ***يقول علي بن أبي طالب*** ﷺ: *"سرّك أسيرُك، فإن تكلَّمتَ به صرتَ أسيرَه".*

(المستطرف:٢٩٦/١)، (أدب الدنيا والدين للماوردي: ص٢٩٥)

- ***وقال أيضاً:***

ولا تُفْشِ سرَّك إلا إليكَ ... فإنَّ لكُلِّ نصيح نَصيحاً

فإني رأيتُ غواةَ الرِّجالِ ... لا يتركون أديماً صحيحاً

(كتاب الصمت وآداب اللسان لابن أبي الدنيا: ص٤٥١)

- ***يقول عمرو بن العاص*** ﷺ: *"ما وضعتُ سِرِّي عند أحدٍ أفشاه عليَّ فلُمْتُهُ، أنا كنتُ أضيق به حيث اسْتَوْدَعْتُهُ إياه".*

(الصمت وآداب اللسان: ص٤٥١)

- ***وورد هذا الأثر عن عمر بن الخطاب*** ﷺ ***في كتاب "المستطرف" (٢٩٧/١) بلفظ:***

"ما أفشيت سري إلى أحدٍ قَطُّ فأفشاهُ فلمته، إذ كان صدري به أضيق".

- ***وصدق القائل حيث قال:***

إذا ضاق صدرُك عن حديثٍ ... وأفشتْهُ الرجال فمن تلُومُ؟

وإن عاتبت من أَفْشى حديثي ... وسرِّي عنده فأنا الملوم

(المستطرف:٢٩٨/١)

- ***وقال بعضهم:***

فلا تنطق بسِرِّك كُلّ سِرٍّ ... إذا جاوز الاثنين فاشي

(أدب الدنيا والدين للماوردي: ص٢٩٥)

- ***وقال أحدهم:***

إذا المرءُ أفشَى سِرَّه بلسانه ولامَ عليه غيرَهُ فهو أحمقُ

إذا ضاقَ صدر المرءِ عن سرِّ نفسِهِ فصدرُ الذي يُسْتَوْدَعُ السر أضيقُ

(المستطرف:١/٢٩٨) (أدب الدنيا والدين للماوردي: ص٢٩٦)

- ***وقال حكيم لابنه:*** "يا بنيّ، كن جواداً بالمال في موضع الحق، ضنيناً بالإسرار عن جميع الخلق، فإن أحمد جود المرء الإنفاق في وجه البر، والبخل بمكتوم السرِّ" (أدب الدنيا والدين للماوردي: ص٢٩٥)

- ***يقول عمر بن عبد العزيز*** ﷺ:

"القلوبُ أوعية والشفاةُ أقفالها، والألسن مفاتيحها، فليحفظ كُلُّ إنسانٍ مفتاح سرِّه، ومن عجائب الأمور أن الأمور كلما كثُرَتْ خِزَانُها كان أوثق لها، وأمَّا الأسرار فإنها كلما كثرتْ خزائنها كان أضيع لها، وكم من إظهار سر أراق دمَ صاحبه ومنعه من بلوغ مآربه، ولو كتمه أَمِنَ من سطوته". (المستطرف:١/٢٩٦)

- ***وكان يقال:*** "أحزم الناس مَن لا يُفشِي سرَّه إلى صديقه مخافة أن يقع بينهما شرٌّ فيفشيه عليه".

(المصدر السابق:١/٢٩٨)

- **ومن الناس مَن يهتك سرَّ نفسِه، فتراه يبيت على معصية ثم يصبح فيكشف ستر الله عليه، ويفضح سر نفسه، وهذا من الخذلان**

- ***فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة*** ﷺ ***قال: سمعت رسول الله*** ﷺ ***يقول:***

"كُلُّ أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً، ثم يصبح وقد ستره الله فيقول: يا فلان عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف سِتْر الله عنه"

فعلى الإنسان أن يحفظ سرَّ نفسه، ولا يفشيه لأحد، ومن الأمور التي ينبغي أن يحفظها:-

١ - أعمال السر التي بينه وبين ربه

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ قال:

"خرجنا مع رسول الله ﷺ في غَزَاةٍ، ونحن ستة نفر بيننا بعير نَعْتَقِبُهُ[١] قال: فنَقِبَت أقدامنا[٢]، فنقبت قدماي، وسقطَتْ أظفاري، فكنا نلُفُ على أرجلنا الخِرَق، فسُمِّيت غزوة ذات الرقاع[٣]، لِمَا كنا نُعصِّبُ على أرجلنا من الخرق، قال أبو بردة: فحدث أبو موسى بهذا الحديث، ثم كره ذلك قال: كأنَّه كَرِه أن يكون شيئاً[٤] من عمله أفشاه به".

- وضرب النبي ﷺ مثالاً رائعاً لحفظ السر بين العبد والرب

فقد ذكر في حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظلّه يوم لا ظل إلا ظله وذكر منهم:

"... ورجل تصدَّق بصدقة فأخفاها؛ حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه..." (متفق عليه)

يعني لو استطاع الإنسان أن يخفي على نفسه لفعل.

- وهاهو عبد الله بن المبارك رحمه الله: "يقول عنه محمد بن أعين:

"كان ذات ليلة ونحن في غزاة الروم، ذهب ليضع رأسه ليريني أنه ينام، ووضعت رأسي كأني أنام كذلك، فظنَّ أني قد نمت، فقام فأخذ في صلاته، فلم يزل كذلك حتى طلع الفجر وأنا أرمُقه، فلما طلع الفجر أيقظني وظن أني نائم، وقال: يا محمد، فقلت إني لم أنم، فلما سمعها مني ما رأيته بعد ذلك يُكلِّمُني، كأنه لم يعجبه ذلك مني لِمَا فطنت له من العمل، ولم أر رجلاً أسر بالخير منه". (الجرح والتعديل:١/٢٦٦)

- ويقول عنه أيضاً عبده بن سليمان: "كنا في سرية مع عبد الله بن المبارك في بلاد الروم، فصادفنا العدو، فلما التقي الصفان، خرج رجلٌ من العدو فدعا إلى البراز، فخرج إليه رجل فطارده ساعة فطعنه فقتله، ثم آخر فقتله، ثم آخر فقتله، ثم آخر فقتله، فازدحم عليه الناس، وكنت فيمن ازدحم عليه، فإذا هو يلثم وجهه بكمه، فأخذت بطرف كمه فإذا هو عبد الله بن المبارك، فقال: وأنت يا أبا عمرو ممَّن يشنع علينا". (صفوة الصفوة:٤/١١٩)

---

(١) نَعْتَقِبُهُ: أي نتعاقب عليه في الركوب، بحيث يركب كل واحد نوبة ثم ينزل فيركب الآخر... وهكذا.
(٢) نقبتَ: أي تقرَّحت من الحفاء وكثرة المشي.
(٣) ما ذكر هنا الصحيح في سبب التسمية، وهناك آراء أخري منها:- أنها سُمِّيت بذلك باسم جبل هناك، *وقيل:* باسم شجرة، *وقيل:* لأنه كانت ألويتهم رقاع، ويحتمل أنها سمِّيت بمجموع ذلك. (انظر شرح الإمام النووي على مسلم)
(٤) *في رواية البخاري:* "شيء" بالرفع على أنه فاعل تكون التامة.

– ***وهاهو داود بن أبي هند*** ﷺ: "صام أربعين سنة لا يعلم به أهله ولا أحد، وكان خزَّازاً، يحمل معه غداءه من عندهم فيتصدق به في الطريق، ويرجع عشيّاً فيفطر معهم، فيظن أهل السوق أنه قد أكل في البيت، ويظن أهل البيت أنه قد أكل في السوق". (صفة الصفوة:٣/٣٠٠)

– ***وهاهو الربيع بن خثيم*** ﷺ ***تقول عنه ابنته سُرَّية:***

"كان عمل الربيع كله سراً، إن كان ليجيء الرجل، وقد نشر المصحف فيغطيه بثوبه". (حلية الأولياء:٢/١٠٧)

– ***يقول ابن قتيبة*** ﷺ: "حاصر مسلمة بن عبد الملك حصناً، وكان في ذلك الحصن نقب– أي ثقب في الحائط– فندب الناس إلى دخوله، فما دخله أحد، فجاء رجل من عُرض الجيش– أي من عامته غير معروف– فدخله، ففتح الله عليهم الحصن، فنادى مسلمة: "أين صاحب النقب؟ فما جاء أحد، فنادى: إني قد أمرتُ الآذن بإدخاله ساعة يأتي، فعزمت عليه إلا جاء، فجاء رجل إلى الآذن، فقال: اسْتَأذِن لي على الأمير، فقال له: "أنت صاحب النقب؟ قال: "أنا أخبركم عنه، فأتى الآذن إلى مسلمة فأخبره؛ فأذِن له، فقال الرجل لمسلمة: إن صاحب النقب يأخذ عليكم ثلاثاً: ألا تسوّدوا اسمه– أي لا تكتبوه– في صحيفة إلى الخليفة، ولا تأمروا له بشيء، ولا تسألوه ممَّن هو؟ – أي من أي قبيلة هو– قال مسلمة: "فذاك له، فقال الرجل: "أنا صاحب النقب"، فكان مسلمة بعد هذه الحادثة لا يُصلِّي صلاة إلا قال: "اللهم اجعلني مع صاحب النقب".

٢ - الأسرار الزوجية

أوصى رجل زوجته بحفظ السر، فقال لها: "لكلِّ امرئٍ يا أمَّ عمر طبيعةٌ، وتفضيل ما بين الرِّجال الطبائع، فلا يسمَعَنَّ بسرِّي وبسرِّكِ ثالثاً، ألا كل سرٍّ جاوز اثنين ضائع"

– وأخطر الأسرار الزوجية التي ينبغي أن تحفظ ولا تفشى هي أسرار الفراش، وقد شدَّد الشرع الحكيم على هذا الأمر لخطورته

فقد أخرج الإمام أحمد وأبو داود عن أسماء بنت يزيد ﷺ:

"أنها كانت عند رسول الله ﷺ، والرجال والنساء قعودٌ عنده، فقال: لعل رجلاً يقول ما فعل بأهله، ولعل امرأة تخبر ما فعلت مع زوجها، فَأَرَمَّ القومُ [١] فقلت: إي والله يا رسول الله إنهم ليفعلون، وإنهنَّ ليفعلن، قال: فلا تفعلوا، فإنما مثلُ ذلك مثل شيطان لقى شيطانة فغشيها [٢] والناس ينظرون".

(١) فَأَرَمَّ القومُ: أي سكتوا، وقيل: سكتوا من خوف.
(٢) فغشيها: أي واقعها وارتكب معها الفاحشة.

- ***وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال:***

"إن من أشرِّ الناس عند الله منزلة يوم القيامة: الرجل يفضي إلى امرأته[1]، وتفضي إليه ثم ينشر سرَّها".

- ***وفي رواية عند مسلم أيضاً:*** **"إن من شرِّ الناس منزلة يوم القيامة: الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه، ثم ينشر أحدهما سر صاحبه"**

- ***وفي رواية:*** **"إن من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة: الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه، ثم ينشر سرها"**

- ***وكما قيل:*** "أكثر ما يستنزل الإنسان عن سرِّه في ثلاثة مواضع: عند الاضطجاع على فراشه، وعند خُلُوِّه بِعِرْسِهِ، وفي حال سكره" (الذريعة إلى مكارم الشريعة – الأصفهاني: صـ٢٩٨)

٣- قضاء الحوائج

فقد أخرج الطبراني في "معاجمه الثلاثة" من حديث معاذ بن جبل ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: **"استعينوا على إنجاحِ الحوائجِ بالكتمان، فإن كُلَّ ذي نعمةٍ محسودٍ"** (صحيح الجامع:٩٤٣)

٤- في الحرب

فلا ينبغي للأمير أن يعلن عن وجهته أو أسراره الحربية حتى لا تنتشر وتصل للأعداء ويأخذون حذرهم، وقد كان النبي ﷺ لا يقصد مكاناً إلا ورَّى بغيره؛ لكي لا تكتشف وجهته.

(١) يفضي إلى امرأته: أي يصل إليها بالمباشرة والمجامعة.

ثانيا: إفشاء سر الغير

فحديث أخيك لك في السِّرِّ أمانة ولو لم يطلب منك الكتمان؛ ***لأن النبي ﷺ يقول فيما يرويه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما:***

"إذا حدَّثَ الرجلُ بحديثٍ، ثم التفتَ فهي أمانةٌ" (صحيح الجامع:٤٨٦) و(الصحيحة:١٠٩٠)

– **والأمانة مسئولية خطيرة يُسأل عنها الإنسان يوم القيامة.**

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنفال:٢٧]

– ***ويقول الحسن البصري رحمه الله:*** "إن من الخيانة أن تُحَدِّثَ بسِرِّ أخيك". (إحياء علوم الدين ٣/١٣٢)

فإفضاء أخيك لك بسرِّهِ ثقة منه فيك، يجعلك تشير عليه بالصالح وبما تحبه لنفسك. ***وكما قيل:*** "**المستشارُ مُؤْتَمَنٌ**". أي مؤتمن على السر أو على الرأي الذي يشير به، وحتىلو لم يكن سرا وتحدَّثت به؛ فقد وقعت في فضول الكلام، أو في الخوض في الباطل.

– ***وجاء في كتاب "الزهد" لابن المبارك عن أبي بكر بن محمد بن بكر بن حزم قال: قال رسول الله ﷺ:*** **"إنما يتجالس المتجالسان بالأمانة، ولا يحل لأحدهما أن يُفشِي على صاحبه ما يكره"**

– ***يقول أحدهم عن حال الأمين الذي يكتم سرَّ صاحبه:***

ويكتم الأسرار حتى إنه ... ليصونها عن أن تمرَّ بباله

(الذريعة إلى مكارم الشريعة للأصفهاني: صـ٢٩٧)

– ***وقال ابن المعتز رحمه الله:***

ومُسْتَودِعي سِرا تبوأتُ كَتْمَهُ ... فأَوْدَعْتُه صدْرِي فَصَار له قبرا

(إحياء علوم الدين:٢/١٩٤)

تنبيه:

من الأسرار التي ينبغي أن تُحْفَظ ولا تُنْشَر: ما يُرَى من الميت أثناء تغسيله

فقد أخرج الحاكم والبيهقي بسند صحيح من حديث أبي رافع ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:

"مَن غسَّل مسلماً فكتم عليه؛ غفر الله له أربعين مرة" ـ *وفي رواية:* "أربعين كبيرة، ومَن حفر له فأجَنَّه[1] أجرى عليه كأجر مسكن أسكنه إياه إلى يوم القيامة، ومَن كَفَّنَهُ كساه الله يوم القيامة من سندس وإستبرق الجنَّة" (صححه الألباني في أحكام الجنائز: صـ٥١)

فالثواب المذكور في الحديث مشروط بشرط الكتمان والستر على الميت، فلا يُحَدِّث بما قد يراه مكروهاً منه.

– وقد أخرج الطبراني في "الكبير" عن أبي أمامة ﷺ أن النبي ﷺ قال:

"من غسَّل ميتاً فستره، ستَرَه اللهُ من الذنوب، ومن كفَّنَه، كساه اللهُ من السندس"

(صحيح الجامع:٦٤٠٣)

---

(١) أجنَّه: أي ستره في القبر.

• السلف الكرام، وحفظ الأسرار

كان السلف الصالح– وهم القدوة– من أشدّ الناس حفظا للأسرار، وصدورهم أوعية لها

– أبو بكر ﷺ وحفظه لسر رسول الله ﷺ

فقد أخرج البخاري من حديث عن سالم بن عبد الله ﷺ:

"أنه سمع عبد الله بن عمر ﷺ يُحَدِّثُ أن عمر بن الخطاب حين تَأَيَّمَتْ [1] حفصة بنت عمر من خُنَيْس بن حذافة السهمي– وكان من أصحاب رسول الله ﷺ فتُوُفِّيَ بالمدينة– فقال عمر بن الخطاب ﷺ: أتيتُ عثمان بن عفان فعرضتُ عليه حفصة فقال: سأنظر في أمري، فلبثت ليالي، ثم لقيني، فقال: قد بدا لي ألا أتزوَّج يومي هذا، قال عمر: فلقيتُ أبا بكر الصديق، فقلت: إن شئت زوَّجتك حفصة بنت عمر، فصمت أبو بكر فلم يرجع إلي شيئاً، وكنت أَوْجَدَ عليه [2] منِّي على عثمان، فلبثتُ ليالي، ثم خطبها رسول الله ﷺ فأنكحتها إياه، فلقيني أبو بكر، فقال: لعلك وجدتَ علي حين عرضتَ عليّ حفصة فلم أرجع إليك شيئاً؟ قال عمر: قلت: نعم، قال أبو بكر: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضتَ علي إلا أني كنت علمتُ أن رسول الله ﷺ قد ذكرها، فلم أكن لأُفشي سرَّ رسول الله ﷺ، ولو تركها رسول الله ﷺ قبلتها".

– أنس بن مالك ﷺ وحفظه سر رسول الله ﷺ

فقد أخرج البخاري عن المعتمر بن سليمان عن أبيه قال: سمعت أنس بن مالك ﷺ يقول:

"أَسَرَّ إليَّ النبيُّ ﷺ سِرًّا فما أخبرت به أحداً بعده [3]، ولقد سألتني أم سليم فما أخبرتها به"

– وأخرج الإمام أحمد عن ثابت عن أنس ﷺ قال:

"مرَّ بي النبي ﷺ وأنا ألعب مع الصبيان فسلَّم علينا، ثم دعاني فبعثني إلى حاجة له، فجئت وقد أبطأت عن أمي، فقالت: ما حبسك؟ أين كنت؟ فقلت: بعثني رسول الله ﷺ إلى حاجة، فقالت: أي بني، وما هي؟ فقلت: إنها سرٌّ، قالت: لا تُحَدِّث بسِرِّ رسول الله ﷺ أحداً، ثم قال أنس: يا ثابتُ، لو كنتُ حدَّثتُ به أحداً لحدَّثْتك يا ثابت".

(أصل هذا الحديث في الصحيحين).

---

(١) تأيَّمت: أي مات عنها زوجها.
(٢) أوجد عليه: أي أكثر غضباً منه.
(٣) *قال الحافظ في "فتح الباري" (١١/٨٥): "قال بعض العلماء:* "كأن هذا السر كان يختص بنساء النبي ﷺ وإلا فلو كان من العلم ما وسع أنساً كتمانه.

- عبد الله بن جعفر وحفظه لسر رسول الله ﷺ

فقد أخرج الإمام أحمد عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما قال:

"ركب رسول الله ﷺ بغلته وأردفني خلفه، وكان رسول الله ﷺ إذا تبَرَّزَ كان أحبَّ ما تبَرَّز فيه هدفٌ يستَتِر به أو حائش نخل، فدخل حائطاً[١] لرجل من الأنصار، فإذا فيه ناضح[٢] له، فلما رأى النبي ﷺ حنَّ وذرفتْ عيناه، فنزل رسول الله ﷺ فمسح ذفراه وسَرَاتَهُ[٣] فسكن، فقال: مَن ربُّ هذا الجمل؟ فجاء شاب من الأنصار، فقال: أنا، فقال: ألا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملَّكَكَ الله إياها؟ فإنه شكاك إليّ، وزعم أنك تجيعُهُ وتُدْئِبُهُ[٤] ثم ذهب رسول الله ﷺ في الحائط وقضي حاجته، ثم توضَّأ، ثم جاء والماء يقْطُرُ من لحيته على صدره، فأَسَرَّ إليَّ شيئاً لا أُحَدِّثُ به أحداً، فحَرَّجَنَا[٥] عليه أن يُحَدِّثنا، فقال: لا أُفْشِي على رسول الله ﷺ سِرَّهُ حتى ألقى الله تعالى". وهكذا كانوا يحفظون سرَّ رسول الله ﷺ

- ***وكان هند بن أبي هالة يصف مجلس رسول الله ﷺ فيقول:***

"مجلس حلم وحياء، وصبر وأمانة، لا ترفع فيه الأصوات، ولا تُؤْبَنُ فيه الحُرَمُ، ولا تُنْثَى فَلَتَاتُهُ[٦]..."

(شمائل الترمذي شرح علي القاري: ٣٩/١)

- ***ويُرْوَى أن معاوية رضي الله عنه أسرَّ إلى الوليد بن عتبة حديثاً فقال لأبيه:***

"يا أبتي إنَّ أميرَ المؤمنين أسَرَّ إلى حديثاً، وما أراه يطوي عنك ما بسطه إلى غيرك، قال: فلا تحدثني به، فإن مَن كتم سرَّهُ كان الخيار له، ومَن أفشاه كان الخيار عليه، قال: "قلت: "يا أبتي وإن هذا ليدخل بين الرجل وبين أبيه، قال: لا، والله يا بني، ولكن أُحِبُّ أن لا تُذَلِّل لسانك بأحاديث السِّرِّ، فأتيتُ معاوية رضي الله عنه فحدَّثته، فقال: "يا وليدُ أَعْتَقَكَ أبوك من رِقِّ الخطأ، فإفشاء السِّرِّ خيانة".

(الصمت لابن أبي الدنيا: ص٤٥٢)،(الإحياء: ١٣٢/٣)

- ***وجاء في حديث أم زرع عن عائشة رضي الله عنها*** "... جاريةُ أبي زَرْعٍ، فما جاريةُ أبي زَرْعٍ؟ لا تَبُثُّ حَدِيثنا تَبْثِيثاً[٧]، ولا تُنَقِّثُ مِيرَتَنَا تَنْقِيثاً[٨]، ولا تملأ بيتنا تعشيشاً[٩] ..." الحديث.

---

(١) الحائط: هو البستان من النخيل إذا كان عليه حائط وهو الجدار.
(٢) الناضح: هو البعير يُستقى عليه.
(٣) الذفري في البعير: أصل أذنه، والسراة من كل شيء: ظهره وأعلاه.
(٤) تدئبه: أي تكده وتتعبه.
(٥) حرَّجنا عليه: أي ألححنا عليه وضيقنا من الحرج وهو الضيق.
(٦) لا تنثي فلتاته: أي "لا تذاع سقطاته"، والفلتات: جمع فلتة، والفلتات يعني الزلات، أي لم يكن في مجلسه زلات فتحفظ وتحكى. (النهاية:٦٨/٣)
(٧) لا تَبُثُّ حديثنا تَبْثِيثاً: يعني لا تشيعه وتفشيه، وإنما تكتم سرنا وحديثنا كله.
(٨) ولا تُنَقِّثُ مِيرَتَنا تَنْقِيثاً: الميرة: الطعام المجلوب، والمعنى لا تفسده ولا تفرقه ولا تذهب به، والمراد وصفها بالأمانة.
(٩) ولا تملأ بيتَنا تعشيشاً: معناه لا تترك الكُنَاسة والقمامة فيه كعش الطائر، أي أنها تنظف البيت وتعتني به.

• وصايا وأقوال السلف بحفظ السر

– ***قال العباس لابنه عبد الله:*** "إني أرى هذا الرجل– يعني عمر بن الخطاب– ﷺ يُقدِّمُكَ على الأشياخ فاحفظ عني خمساً: لا تُشين له سراً، ولا تغتابَنَّ عنده أحداً، ولا تُجرِيَنَّ عليه كذباً، ولا تعصين له أمراً، ولا يطَّلعنَّ منك على خيانة، قال الشعبي: كل كلمة من هذه الخمس خير من أَلْفٍ".

(إحياء علوم الدين:٢/١٩٥)

– ***وقال سعيد بن المسيب*** ﷺ: "كَتَبَ إليَّ بعضُ إخواني من أصحاب رسول الله ﷺ: أن ضَعْ أمر أخيك على أحسنه ما لم يأتك ما يغلبُكَ، ولا تظُنَّنَّ بكلمةٍ خرجت من امرئ مُسلمٍ شراً وأنت تجد لها في الخير مَحْمَلًا، ومَن عرَّض نفسه للتهم فلا يلومَنَّ إلا نفسه، ومَن كتم سرَّه كانت الخِيَرَةُ في يده، وما كافأتَ مَن عصَى الله تعالى فيك بمثل أن تُطيعَ الله تعالى فيه..."

(شعب الإيمان:٦/٣٢٣– رقم٨٣٤٥).

– ***قال الثوري*** ﷺ: "إذا أردت أن تؤاخِيَ رجلاً فأغضبه، ثم دسَّ عليه مَن يسألُهُ عنك وعن أسرارك، فإن قال خيراً وكتم سرَّك فاصحبه". **(إحياء علوم الدين:٢/١٩٥)**

– ***وقد مرَّ بنا قول بعض الحكماء لابنه:*** "يا بُنَيّ كُن جوَاداً بالمال في موضع الحق، ضنيناً بالأسرار عن جميع الخلق، فإن أحمد جود المرء: الإنفاق في وجه البرِّ، والبخل بمكتوم السرِّ".

(أدب الدنيا والدين: ص٢٩٥)

– ***قال الغزالي*** ﷺ: "أفشى بعضُهم سراً له إلى أخيه، ثم قال له: هل حفظت؟ قال: بل نسيتُ".

(الإحياء: ٢/١٩٥)

– ***وأنشد ثعلب فقال:***

ثلاثُ خصالٍ للصديقِ جَعَلْتُها ... مضارعةً للصَّوْم والصلـوات

مواساتُهُ والصفح عن عثراته ... وترك ابتذال السِّرِّ في الخلوات

(آداب العشرة: ٣٨).

– ***وقال ذو النون المصري:*** "لا خير في صُحبةٍ من لا يُحبُّ أن يراك إلا معصوماً، ومَن أفشى السرَّ عند الغضب فهو اللئيم؛ لأن إخفاءه عند الرضا تقتضيه الطباع السليمة كلها". **(الإحياء:٢/١٩٥)**

- ***قال بعضهم:***

ليس الكريمُ الذي إذا زلَّ صاحبه ... بث الذي كان من أسراره عَلِمَا

إن الكريمَ الذي تبغي مودته ... ويحفظ السر إنْ صَافَى وإن صَرَما

(آداب العشرة: ص٢٣)

- ***قال أبو حاتم:*** "الإفراط في الاسترسال بالأسرار عَجْزٌ، وما كتمه المرء من عدوِّه، فلا يجب أن يظهره لصديقه وكفى بذوي الألباب عِبَراً ما جربُوا، ومَن استودع حديثاً فليستره، ولا يكن مهتاكاً ولا مشياعاً؛ لأن السر إنما سُمِّيَ سراً لأنه لا يفشى". **(روضة العقلاء: ص٢٥٥)**

- ***قال السفاريني*** رحمه الله: ***"قال الحكماء:*** "ثلاثة لا ينبغي للعاقل أن يقدم عليها: شرب السُّمِ للتجربة، وإفشاء السر إلى القرابة والحاسد، وإن كان ثقة، وركوب البحر وإن كان فيه غنى".

- ***وقال أيضاً:*** "يروى أن أصبر الناس مَن لا يُفشِي سرَّه إلى صديقه مخافة التقلب يوماً ما".

(غذاء الألباب: ١/١١٧)

- ***وقال بعض الفصحاء:*** "ما لم تُغَيِّبَهُ الأضالعُ فهو مكشوفٌ ضائع".

(أدب الدنيا والدين: ص٢٩٥)

- ***وقد قيل:*** "الصبرُ على القبض على الجمرِ أيسر من الصبر على كتمان السر".

(الذريعة إلى مكارم الشريعة للأصفهاني: ص٢٩٨)

- ***وقال الأبشيهي*** رحمه الله: "اعلم أن أمناء الأسرار أقل وجوداً من أمناء الأموال، وحفظ الأموال أيسر من كتمان الأسرار؛ لأن أَحْرَازَ الأموال منيعةٌ بالأبواب والأقفال، وأَحْرَازُ الأسرار بارزةٌ، يذيعُهَا لسانٌ ناطقٌ، ويُشَيِّعُهَا كلامٌ سابق، وحَمْلُ الأسرارِ أثقل من حمل الأموال". **(المستطرف:١/٢٩٦)**

• حكم إفشاء السر بعد موت صاحبه

إفشاء سر الرجل بعد موته فيه تفصيل:

فأحيانا يكون مُبَاحاً وقد يستحب إن كان هناك منقبة أو كرامة لهذا الرجل الصالح لا يريد أن يظهرها في حياته، فلا مانع أن تُذكر بعد موته ليُقْتَدى به، وتارة يكون إفشاء سر الميت واجب إن كان عليه حق تعذَّر القيام به، فيذكر السر لمَن يتسنَّى له القيام بهذا الواجب أو الحق، وأحياناً يكره وقد يُحرَّم إذا كان إفشاء سر هذا الميت يلحق به ضرر بعد موته أو بأهل بيته.

– ***ونقل الحافظ ابن حجر ﷺ في "فتح الباري" (١١/ ٨٥) عن ابن بطال ﷺ أنه قال:***

"أكثرُ العلماءِ على أنه إذا مات صاحب السر، فإنه لا يلزم من كتمانه ما كان يلزم في حياته، إلا أن يكون عليه فيه غضاضة".

ثم قال الحافظ ابن حجر ﷺ: الذي يَظْهَرُ أن الإفشاء بعد الموت ينقسم إلي:

١–ما يحرم إذا كان فيه غضاضة على صاحبه.

٢– ما يكره مطلقاً. ٣– ما يباح.

٤– ما يستحب ذِكْرُهُ وإن كرهه صاحب السر كأن يكون فيه تزكية أو منقبة أو نحو ذلك.

– ومن الصور المباحة لإفشاء السر بعد موت صاحبه

ما ذكره البخاري ومسلم من حديث عائشة ﷺ قالت:

"كُنَّ أزواج النبي ﷺ عندَه، فلم يغادر منهن واحدة فأقبلت فاطمة تمشي، ما تخطئ مشيتها من مشية رسول الله ﷺ شيئاً، فلما رآها رحب بها، فقال: مرحباً بابنتي ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم سارَّها فبكت بكاءً شديداً، فلما رأى جزعها سارَّها الثانية فضحكت، فقلت لها: خَصَّكِ رسول الله ﷺ من بين نسائه بالسِّرار، ثم أنت تبكين، فلما قام رسول الله ﷺ سألتها: ما قال لك رسول الله ﷺ، قالت: ما كنت لأفشي على رسول الله ﷺ سره. قالت: فلما تُوُفِّيَ رسول الله، قلت: عزمت عليك بما لي عليك من الحق لما حدَّثتني ما قال لك رسول الله ﷺ، فقالت: أما الآن فنعم، أما حين سارَّني في المرة الأولي فأخبرني: أن جبريل كان يعارضُهُ القرآن في كل سنة مرَّة أو مرتين، وإنه عارضه الآن مرتين وإني لا أُرَى[1] الأجل إلا قد اقترب، فاتَّقي الله واصبري، فإنه نِعْمَ السلف أنَا لَكِ، قالت: فبكيتُ بكائي الذي رأيتِ، فلما رأى جزعي سارَّني الثانية، فقال: يا فاطمة أما ترضي أن تكوني سيدة نساء هذه الأمة؟ قالت: فضحكتُ ضحِكي الذي رأيتِ".

(١) وإني لا أرى: أي لا أظن.

– ومن صور إفشاء السر بعد موت صاحبه

ما حدث مع عامر بن عبد الله التميمي ﷺ، حيث يقول عنه أحد أبناء البصرة:

"سافرت في قافلة فيها عامر بن عبد الله، فلما أقبل علينا، نزلنا بِغَيْضَةٍ[١]، فجمع عامر متاعه، وربط فرسه بشجرة، وطوَّل له زمامه[٢]، وجمع من حشائش الأرض ما يشبعه وطرحه أمامه، ثم دخل الغيضة وأوْغَلَ[٣] فيها، فقلت في نفسي: والله لأتْبَعَنَّهُ، ولأنظرنَّ ما يصنع في أعماق الغيضة في هذه الليلة، فمضى حتى انتهى إلى رابية ملتفة الشجر مستورة عن الأعين.. فاستقبل القبلة، وانتصب قائماً يُصلِّي، فما رأيت أحسنَ من صلاته ولا أكمل ولا أخشع، فلمَّا صلَّى ما شاء الله أن يُصَلِّي، طفق[٤] يدعو الله ويُناجيه، فكان ممَّا قاله: إلهي لقد خلقتني بأمرك، وأقمتني في بلايا هذه الدنيا بمشيئتك، ثم قلت لي: استمسك[٥]، فكيف أستمسك إن لم تُمسكني بلطفك يا قوي يا متين؟ إلهي إنك تعلم أنه لو كانت لي هذه الدنيا بما فيها، ثم طُلِبَتْ مني مرضاةً لك، لوهبتها لطالبها

فهب لي نفسي يا أرحم الراحمين.. إلهي إني أحببتك حُبا سهل عَلَيّ كل مصيبة، ورضاني بكل قضاء.. فما أبالي مع حبي لك ما أصبحتُ عليه، وما أمسيتُ فيه،

قال الرجل البصري:

"ثم إنه غلبني النُّعَاسُ، فأسلمت جفني إلى الكَرَى[٦]، ثم ما زلتُ أنام واستيقظ، وعامر منتصب في موقفه، ماضٍ في صلاته ومناجاته، حتى تنفَّس الصبح[٧] فلما بدا له الفجر أدى المكتوبة[٨]، ثم أقبل يدعو فقال: اللهم ها قد أصبح الصبح، وطفق الناس يغدون ويروحون، يبتغون من فضلك، وإن لكلٍّ منهم حاجة، وإن حاجة عامرٍ عندك أن تغفر له، اللهم فاقضي حاجتي وحاجاتهم يا أكرم الأكرمين.

---

(١) الغيضة: مجتمع الشجر في مغيض الماء.

(٢) الزمام: الرّسن، وهو الحبل الذي تقاد به الدّابة.

(٣) أوغل فيها: أبعد وتوارَى.

(٤) طفق يدعو: أخذ يدعو.

(٥) استمسك: اضبط نفسك.

(٦) الكَرَى:النوم.

(٧) تنفَّس الصبح: تبَلَّج الصبح وظهر.

(٨) المكتوبة: الصلاة المفروضة.

اللهم إني سألتك ثلاثاَ، فأعطيتني اثنتين، ومنعتني واحدة، اللهم فأعطينيها حتى أعبدك كما أحبُّ وأريد، ثم نهض من مجلسه، فوقع بصره عليَّ... فعلم بمكاني منه في تلك الليلة فجزع[1] لذلك أشدَّ الجزع، وقال لي في أسى[2]: أرَاك كنت تَرْقُبُنِي الليلة يا أخا البصرة؟! فقلت: نعم، فقال استر ما رأيت مني ستر الله عليك، فقلت: والله لتحدثني بهذه الثلاث التي سألتها ربك، أو لأخبرنَّ الناس بما رأيته منك. فقال: ويحك[3]لا تفعل، فقلت: هو ما أقول لك، **فلما رأى إصراري قال: أُحدثك على أن تعطيني عهد الله وميثاقه ألا تُخبر بذلك أحداً، فقلت: لك عليّ عهدُ الله وميثاقه ألا أفشي لك سراً ما دمتَ حيا**، فقال: لم يكن شيء أخوف عليَّ في ديني من النساء، فسألت ربي أن ينزع من قلبي حُبَّهن، فاستجاب لي حتى صِرْتُ ما أبالي[4] امرأة رأيتُ أم جداراً، فقلت: هذه واحدةٌ، فما الثانية؟ فقال: الثانية أني سألت ربي ألا أخاف أحداً غيره، فاستجاب لي حتى أني والله ما أرهبُ شيئاً في الأرض ولا في السماء سواه، قلت: فما الثالثة؟ فقال: سألت ربي أن يُذهِبَ عني النوم حتى أعبده بالليل والنهار كما أريد، فمنعني هذه الثالثة، فلما سمعت منه ذلك، قلت له: رفقاً بنفسك، فإنك تقضي ليلك قائماً، وتقطع نهارك صائماً، وإن الْجَنَّة تدرك بأقل مما تصنع، وإن النار تُتَّقَى بأقل مما تعاني، فقال: إني لأخشى أن أندم حيث لا ينفع الندمُ، والله لأجتهدنَّ في العبادة ما وجدتُ إلى الاجتهاد سبيلاً، فإن نجوت فبرحمة الله، وإن دخلت النار فَبِتَقْصِيري".

(انظر الطبقات الكبرى لابن سعد: ١٠٣/٧)،(صفة الصفوة:٢٠١/٣)،(حلية الأولياء:٨٧-٩٥)

(تاريخ الطبري:١٩/٤)،(المعارف لابن قتيبة: ص٤٣٨)

---

(١) جزع: خاف واغتمَّ.

(٢) في أسى: في حزن.

(٣) ويح: حكمة ترحُم وتوجُّع.

(٤) ما أبالي: ما أهتم وما أكترث.

ثانيا: الكلام فيما لا يعني(فضول الكلام)

وحدُّ الكلام فيما لا يعني هو أن يتكلم الإنسان بكلام لو سكت عنه لم يأثم، ولم يلحقه ضرر في الحال والمآل، ومثاله: أن يجلس المرء مع جلسائه فيذكر لهم أسفاره، وما رأى فيها من جبال وأنهار، وما وقع له في رحلته، وما استحسنه من الأطعمة والأشربة والثياب، فهذه أمور له سكت عنها لم يأثم ولم يستضر في حال ولا مآل.

والباعث على الكلام فيما لا يعني هو الحرص على معرفة ما لا حاجة به إليه، أو تمضيه الأوقات بحكايات وأحوال لا فائدة فيها. (انظر الإحياء: ٣/١٥٣)

وكما أن الخوض فيما لا يعني أمر مذموم، فكذلك فضول الكلام والزيادة فيما لا يعني أمر مذموم

قال تعالى: ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء:١١٤]

ومعنى الآية: أنه لا نفع في كثير من كلام الناس سراً فيما بينهم، إلا إذا كان حديثاً داعياً إلى بذل المعروف من الصدقة، أو الكلمة الطيبة، أو التوفيق بين الناس، ومَن يفعل تلك الأمور طلباً لرضا الله – تعالى– راجياً ثوابه، فسوف نؤتيه ثواباً جزيلاً واسعاً.

اعلم أخي الحبيب... أن رأس مال العبد أوقاته، فإن صرفها فيما لا يعنيه، ولم يَعُد عليه بنفع ولم يدَّخر به ثواباً في الآخرة، فقد ضيَّع رأس ماله، ولا يجني يوم القيامة إلا الحسرة والندامة.

– وقد حثَّ النبي ﷺ على استغلال الأوقات وترك ما لا يعود على المرء بالخير والنفع

فقد أخرج الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

"من حُسْن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه" (صححه الألباني في صحيح الترمذي:١٨٨٦)، (صحيح الجامع:٥٩١١)

فالكلام فيما لا يعني إن لم يكن فيه ضرر، ففيه الخسارة من تضييع الوقت والأجر.

– يقول الإمام الحافظ ابن عبد البر رحمه الله في كتابه "التمهيد"(٩/٢٠٠):

وقول النبي ﷺ: **"من حُسْنِ إسلام المرء تركه ما لا يعنيه"** من الكلام الجامع للمعاني الكثيرة الجليلة في الألفاظ القليلة، وهو مما لم يقُله أحد قبله؛ لأن من حسن إسلام المرء ترك ما لا يعنيه من الأقوال والأعمال، إذ الإسلام يقتضي فعل الواجبات وترك المُحرَّمات، وإذا حَسُنَ الإسلام استلزم ذلك ترك ما لا يعني من المشتبهات والمكروهات وفضول المباحات (وهو القدر الزائد على الحاجة)، فإن هذا كله لا يعني المسلم إذا كمُل إسلامه، وبلغ درجة الإحسان الذي أوضح رسول الله ﷺ حقيقته في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سؤال جبريل عليه السلام عن الإسلام والإيمان والإحسان، **فقال:**

"أن تعبُدَ الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك". (أخرجه مسلم وغيره).

ومَن عَبَدَ الله على استحضار قُربة من ربه، أو قُرب ربه منه فقد حسُن إسلامه، ولزم من ذلك أن يترك كل ما لا يعنيه في الإسلام واشتغل بما يعنيه من صحة اعتقاد وكمال إيمان وصلاح عمل، وطلب ما هو من ضرورات معاشه لا قيام لحياته بدونه من ألوان المباحات، وعلى العكس من ذلك مَن أضاع نفائس الأوقات فيما لم تُخلَق له باشتغاله بما لا يعنيه، فانصرف به عما ينفعه ويرتفع بمقامه ويبلغ به صحيح الغايات وشريف المقاصد وكريم المنازل، فخسر هنالك خُسراناً مُبيناً.

ألا وإنَّ من اشتغال المرء بما لا يعنيه تعلُّمَ ما لا يهم في العلوم، وترك الأهم منها ممَّا فيه صلاح قلبه، وتزكية نفسه، ونفع إخوانه، ورفع شأن وطنه وأمته، ومنه أيضاً عدم حفظ اللسان عن لغو الكلام، وعن تتبُّع ما لا يهم ولا ينفع تتبعه من أخبار الناس وأحوالهم وأموالهم ومقدار إنفاقهم وادِّخَارهم ومن إحصاء ذلك عليهم والتنقيب عن أقوالهم وأعمالهم داخل دورهم وبين أهليهم وأولادهم، بغير غرضٍ شرعي سوى الكشف عما لا يعني من خاص أمورهم وخفي أمورهم.

ومن ذلك أيضاً– يا عباد الله– تكلُّم المرء فيما لا يحسنه ولا يتقنه، مما لا يعرف له تخصص فيه ولا سابق إلمام أو خبرة به، ولم يكن مطلوب منه التحدُّث أو إبداء الرأي فيه، وما ذلك إلا لطلب التسلي وإزجاء الوقت وإضاعته وتصدُّر المجالس وصرف الأنظار إليه، وقد يخرج به ذلك إلى الخوض فيما لا يجوز الخوض فيه من أحاديث الفواحش والشهوات ووصف العورات، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات، ونشر قالة السوء وبث الشائعات والأكاذيب والأخبار المفتريات، وقد يجتمع إلى ذلك وَلَعٌ بما يسمَّى بالتحليلات والتوقعات المبنية في غالبها على الظنون والأوهام، وكل ذلك ممَّا لا يصح تتبُّعه، ولا الخوض فيه، ولا الاستناد إليه، ولا الاغترار به، ولا العمل بمقتضاه".اهـ

– ***ويقول ابن القيم*** رحمه الله: "وأما فضول الكلام فإنها تفتح للعبد أبواباً من الشر، كلها مداخل للشيطان، فإمساك فضول الكلام يسد عنه تلك الأبواب كلها، وكم من حربٍ جرَّتها كلمة واحدة، ***وقد قال النبي*** ﷺ ***لمعاذ*** رضي الله عنه: **"وهل يكبُّ الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم".** (رواه الترمذي)

وأكثر المعاصي إنما يُولِّدها فضول الكلام والنظر، وهما أوسع مداخل الشيطان، فإن جارحتيهما لا يملَّان ولا يسأمان، بخلاف شهوة البطن، فإنه إذا امتلأ لم يبق فيه إرادة للطعام، وأما العين واللسان فلو تركا لم يفترا من النظر والكلام، فجنايتهما متسعة الأطراف، كثيرة الشعب، عظيمة الآفات".اهـ

(التفسير القيم: ص٦٢٧)

• الترغيب في ترك فضول الكلام

وصف هند بن أبي هالة ﷺ منطق رسول الله ﷺ للحسن بن علي ﷺ فقال:

"... كان طويل السكوت، لا يتكلَّمُ في غير حاجة، يفتتح الكلام ويختمه باسم الله تعالى، ويتكلَّم بجوامع الكلم، كلامه فَصْل، لا فضول ولا تقصير" (مختصر الشمائل المحمدية للترمذي للألباني: ص٢٠)

– وأخرج النسائي من حديث عبد الله بن أبي أوفى ﷺ قال:

"كان رسول الله ﷺ يكثر الذكر، ويقل اللغو، ويطيل الصلاة، ويقصر الخطبة، ولا يأنف أن يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضي له الحاجة". (صححه الألباني في سنن النسائي: ١٣٤١)

والمقصود من اللغو هنا كما قال الكفوي ﷺ: "كُلُّ مطروحٍ من الكلام لا يعتد به". (الكليات:٧٧٨)

– وسأل الحسين بن علي ﷺ أباه عن مخرجه ﷺ كيف كان يصنع فيه؟

فقال ﷺ: "كان رسول الله ﷺ يَخْزنُ [١] لسانه إلا فيما يعنيه..." (مختصر الشمائل: ص٢٣)

– وقال أيضاً: "كان ﷺ لا يذمُّ أحداً، ولا يعيبه، ولا يطلب عورته[٢]، ولا يتكلَّم إلا فيما رجا ثوابه". (المصدر السابق: ص٢٥)

وأخرج البيهقي والطبراني والبغوي من حديث ركب المصري[٣] قال: قال رسول الله ﷺ:

"طوبى[٤] لمَن عمل بعمله، وأنفق من ماله، وأمسك الفضل من القول".

(قال ابن عبد البر: "حديث حسن، ولكن الراجح ضعفه")

– وتلا الحسن البصري ﷺ قول الله تعالى: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [ق:١٧] فقال: يا ابن آدم بسطت لك صحيفة، ووكل بك ملكان كريمان، أحدهما عن يمينك فيحفظ حسناتك، وأما الذي عن يسارك فيحفظ سيئاتك، فاعمل ما شئت أقلل او أكثر..."

– ومن الأمثلة التي تدل على ترك فضول الكلام ما رواه الترمذي وأبو داود وابن أبي الدنيا واللفظ له عن مطرف بن عبد الله عن أبيه قال: "قدمت على رسول الله ﷺ في رهط من بني عامر، فقالوا: أنت والدنا، وأنت سيدنا، وأنت أفضلنا علينا فضلاً، وأنت أطولنا علينا طولاً، وأنت الجفنة الغرَّاء، وأنت... وأنت، فقال: قولوا قولكم ولا يستهوينكم الشيطان"

يقول الغزالي ﷺ: "وفي هذا الحديث إشارة إلى أن اللسان إذا أطنب بالثناء ولو بالصدق فيخشى أن يستهويه الشيطان إلى الزيادة المستغنى عنها". اهـ

---

(١) يخزن: يحبس.
(٢) لا يطلب عورته: أي لا يطلب عورة أحد، وهي ما يُستحي منه إذا ظهر، والمعنى: لا يُظهر ما يريد الشخص ستره، ويخفيه عن الناس.
(٣) وركب المصري فيه خلاف، قال البغوي: "لا أدري أسمع النبي ﷺ أم لا، وقال ابن منده: مجهول لا نعرف له صحبة، وروى هذا الحديث البزار من حديث أنس ﷺ بسند ضعيف. (ضعيف الترغيب والترهيب:١٧٠٥)
(٤) طوبى:شجرة عظيمة في الجنة، يخرج منها ثياب أهل الجنة.

• الترهيب من الكلام فيما لا يعني أو فضول الكلام

أخرج أبو الشيخ بسند فيه مقال من حديث أبو هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

"أكثر الناس ذنوباً أكثرهم كلاماً فيما لا يعنيه"

– وأخرج البخاري ومسلم من حديث المغيرة بن شعبة ﷺ قال: **"سمعت رسول الله ﷺ يقول:"إن الله كَرِه لكم ثلاث: قيل وقال(١) وإضاعة المال(٢) وكثرة السؤال(٣)"**

وقيل:

خيرُ الكـلامِ قليلٌ ... على كثيرٍ دليلُ
والعِيُّ معنى قصيرٌ ... يَحْويْه لفظٌ طويل
وفي الكلام فضولٌ ... وفيه قالَ وقِيل

وفي الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد من حديث علقمة عن بلال بن الحارث المزني ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"إن الرجل ليتكلَّم بالكلمة من رضوان الله، ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله ﷻ له بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن الرجل ليتكلَّم بالكلمة من سُخط الله، ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه"**

فكان علقمة يقول: كم من كلامٍ منعنيه حديث بلال بن الحارث".

– وممَّا يرغب في ترك فضول الكلام ما أخرجه الطبراني في"الكبير" عن معاذ بن جبل ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"إنك لم تزل سالماً ما سكت، فإذا تكلَّمت كُتِبَ لك أو عليك"**

(صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب)

---

(١) قيل وقال: ومعناهما كما قال المحب الطبري: "هي على ثلاثة أوجه: أحدها: أنهما مصدران للقول، تقول: قلت: قولاً وقالاً، والمراد في الأحاديث الإشارة إلى كراهة كثرة الكلام؛ لأنها تؤول إلى الخطأ، قال: وإنما كرَّره للمبالغة في الزجر عنه. ثانيها: إرادة حكاية أقاويل الناس، والبحث عنها ليخبر عنها، فيقول: قال: فلان كذا، وقيل: كذا، والنهي عنه إما للزجر عن الاستكثار منه، وإما لشيء مخصوص منه، وهو ما يكرهه المحكي عنه. ثالثها: أن ذلك في حكاية الاختلاف في أمور الدين كقوله: "قال فلان كذا، وقال فلان كذا، ومحل كراهة ذلك أن يكثر من ذلك بحيث لا يؤمن مع الإكثار من الزلل، وهو مخصوص بمن ينقل ذلك من غير تثبُّت، ولكن يقلد من سمعه ولا يحتاط له".اهـ

قال ﷺ في "الفتح"(١٠/٣١٤): "ويؤيد ذلك الحديث الصحيح: "كفى بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما سمع".

(٢) إضاعة المال: الإسراف في الإنفاق، أو الإنفاق في الحرام، وقال في فتح الباري: "إن المقصود بإضاعة المال هو: ما أنفق في غير وجهه المأذون فيه شرعاً، سواء كانت دينية أو دنيوية فمنع منه؛ لأن الله تعالى جعل المال قياماً لمصالح العباد، وفي تبذيره تفويت تلك المصالح إما في حق مضيِّعها، وإما في حق غيره، ويستثنى من ذلك كثرة إنفاقه في وجوه البر لتحصيل ثواب الآخرة ما لم يفوت حقاً أُخرويا أهم منه".اهـ

(٣) كثرة السؤال: إما المقصود به: سؤال المال، أو السؤال عن الأمور المشكلة المعضلة، أو كثرة سؤال إنسان بعينه عن تفاصيل حاله، فإن ذلك يكرهه المسئول غالباً، أو السؤال عن مسائل يستحيل وقوعها عادة أو يندر جداً، أو السؤال عن أشياء العلم بها لا ينفع والجهل بها لا يضر.

- ***وكان مجاهد ﷺ يقول في كتاب "الزهد"لهناد(٢/٥٣٥):***

"ما من شيء يتكلَّم به العبد إلا أُحصِي عليه، حتى أنينه في مرضه"

- ***وأخرج ابن أبي الدنيا والطبراني:*** **"أن النبي ﷺ دخل على أحد الصحابة يزوره في مرضه، فقال له النبي ﷺ: أبشر يا كَعْبُ[١]، فقالت أم كعب: هنيئاً لك يا كعب الْجَنَّة[٢]، فقال ﷺ: وما يدريك يا أم كعب؟! لعل كعباً قال ما لا يعنيه أو منع ما لا يغنيه".**

- ***وفي رواية عند أبي يعلى والبيهقي من حديث أبي هريرة ﷺ قال:***

"قُتِلَ رجلٌ على عهد رسول الله ﷺ شهيداً، فبكت عليه باكية، فقالت: واشهيداه، فقال النبي ﷺ: وما يدريك أنه شهيد؟ لعله كان يتكلَّم فيما لا يعنيه، أو يبخل بما لا ينقصه".

- ***وأخرج الترمذي من حديث أنس ﷺ قال:***

"تُوُفِّي رجلٌ، فقال رجلٌ آخر، ورسول الله يسمع: أبْشِر بالْجَنَّة، فقال رسول الله ﷺ: أو لا تدري[٣]؟ فلعله تكلَّم فيما لا يعنيه[٤]، أو بخل بما لا ينقصه".

- ***وأخرج ابن أبي الدنيا أيضاً وأبو يعلى من حديث أنس ﷺ أنه قال:***

"اُستُشهِد رجلٌ منا يوم أُحُد، فوُجد على بطنه صخرة مربوطة من الجوع، فمسحت أمه التراب عن وجه، وقالت: هنيئاً لك يا بُنيّ الْجَنَّة، فقال النبي ﷺ: ما يدريك لعله كان يتكلَّم فيما لا يعنيه ويمنع ما لا يضره[٥]".

- ***وأخرج البيهقي بسند فيه مقال عن أبي سلمة بن عبد الرحمن:***

"أن امرأة كانت عند عائشة ﷺ ومعها نسوة، فقالت امرأةٌ منهن: والله لأدخلنَّ الْجَنَّة فقد أسلمت، وما سرقت، وما زنيت، فأُتِيَتْ في المنام، فقيل لها: أنت المتألية[٦]لتدخُلنَّ الْجَنَّة كيف وأنتِ تبخلين بما لا يغنيك، وتتكلمين فيما لا يعنيك، فلما أصبحت المرأة دخلت على عائشة فأخبرتها بما رأت، وقالت: اجمعي النسوة اللاتي كُنَّ عندك حين قلتِ ما قلتِ، فأرسلت إليهن عائشة ﷺ فجئن، فحدثتهن المرأة بما رأت في المنام".

---

(١) أبشر يا كعب: أي بالشفاء، أو لعله بالجزاء، أي جزاء المرض وثوابه.
(٢) ظنَّت أن البشرى بالْجَنَّة.
(٣) أولا تدري؟: يعني أتقول ولا تعلم؟.
(٤) تكلَّم فيما لا يعنيه: يعني في الأمور التي تشغله ولا تهمه.
(٥) ويمنع ما لا يضره: أي يضن بالذي لا يجعله فقيراً محتاجاً.
(٦) المتألية: أي الحاكمة على الله.

الآثـــار:

- ***قيل لعيسى*** عليه السلام: "دُلَّنا على عملٍ ندخل به الْجَنَّة، قال: لا تنطقوا أبداً، قالوا: لا نستطيع ذلك، فقال: فلا تنطقوا إلا بخير". (إحياء علوم الدين:٣/١٢٠)

- ***وقال عيسى*** عليه السلام: "طوبي لمَن بكى على خطيئته، وخَزَنَ لسانه[١]، ووسعه بيته".

(حسن السمت في الصمت:٦٥).

وروي عنه أيضاً أنه قال لأحد أصحابه: "إذا رأيت قساوةً في قلبك، ووهناً في بدنك، وحرماناً في رزقك، فاعلم بأنك قد تكلَّمت بما لا يعنيك". (تنبيه الغافلين: ص١٦٧)

وروي عنه أيضاً أنه قال: "كلُّ كلام ليس بذكر الله فهو لغو، وكلُّ سكوت ليس بفكر فهو غفلة وكلُّ نظرٍ ليس بعبرة فهو لهو، فطوبى لمَن كان كلامه ذكراً، وسكوته تفكُّراً، ونظره عبرة"

- ***وقال سليمان بن داود –عليهما السلام–:*** "إن كان الكلام من فضَّةٍ، فالسكوت من ذهبٍ"

(إحياء علوم الدين:٣/١٢٠)

- ***وقال عمر بن الخطاب*** رضي الله عنه: "مَن كَثُرَ كلامه كَثُرَ سَقَطُه[٢]، ومَن كَثُرَ سقطه كَثُرَت ذنوبه، ومَن كَثُرَت ذنوبه كانت النار أولى به". (جامع العلوم والحكم: ص١٦١).

- ***وقال عبد الله بن مسعود*** رضي الله عنه: "أنذرتكم فضول الكلام، بحسب أحدكم ما بلغ حاجته".

(الصمت لابن أبي الدنيا:٢٣٩)

- ***وقال أبو هريرة*** رضي الله عنه: "لا خير في فضول الكلام".

- ***ويقول عبد الله بن عباس*** رضي الله عنهما: "خمس لَهُنَّ أحبُّ إلى من الدُّهْم[٣] المُوقَفَة: لا تتكلَّم فيما لا يعنيك، فإنه فضلٌ، ولا آمَنُ عليك الوزر، ولا تتكلَّم فيما يعنيك حتى تجد له موضعاً، فإنَّه رُبَّ متكلمٍ في أمر يعنيه، قد وضَعَه، في غير موضعه فيعنت، ولا تُمَارِ[٤] حليماً ولا سفيهاً، فإن الحليم يقليك، وإن السفيه يؤذيك، واذكر أخاك إذا غاب عنك بما تحب أن يذكرك به، واعْفِه ممَّا تحب أن يعفيك منه، وعامل أخاك بما تحب أن يعاملك به، واعمل عمل رجلٍ يعلم أنه مجازى بالإحسان، مأخوذ بالإجرام".

(إحياء علوم الدين:٣/١٢٢)

---

(١) خزن لسانه: أي حبسه.
(٢) سقطه: يعني الخطأ في القول والفعل.
(٣) الدهم: جمع أدهم، وهو من الخيل ما بين الأشقر والأسود، وناقة دهماء: إذا اشتدت وَرِقَتُها حتى ذهب البياض الذي فيها.
(٤) تمار: تجادل.

– ***ويقول عمرو بن العاص*** ﷺ: "الكلام كالدواء، إن أقللت منه نفع، وإن أكثرت منه قتل".

– ***ويقول عبد الله بن عمرو بن العاص*** ﷺ: "دع ما لست منه في شيء، ولا تنطق فيما لا يعنيك، واخزن [1] لسانك كما تخزن وَرِقَكَ[2] ". (إحياء علوم الدين: ١٢٢/٣)

– ***وعن عبد العزيز بن أبي رَوَّاد قال:*** "قال رجل لسلمان ﷺ أوصني، قال: لا تكلم، قال: وكيف يصبر رجل على أن لا يتكلم؟ قال: فإن كنت لا تصبر على الكلام فلا تتكلَّم إلا بخير أو اصمت".
(الصمت لابن أبي الدنيا: ص٢١٥)

– ***يقول أحدهم:***

عوِّد لسانك قلة اللفظ ... واحفظ كلامك أَيَّمَا حفظ
إياك أن تعظ الرجال وقد ... أصبحت مُحْتَاجاً إلى الوعظ

(أدب الدنيا والدين للماوردي: ٨٧).

– ***وقال الأوزاعي*** ﷺ: "كتب إلينا عمر بن عبد العزيز ﷺ برسالة لم يحفظها غيري، وغير مكحول. قال فيها: "أما بعد: فإنه مَن أكثر ذكر الموت، رضي من الدنيا باليسير، ومن عَدَّ كلامه من عمله، قَلَّ كلامه إلا فيما يعنيه". (إحياء علوم الدين:١١٢/٣) (وكذا قال الفضيل ﷺ)

– ***ويقول عبد الله بن المبارك*** ﷺ: ***"قال بعضهم في تفسير العزلة:***
" هو أن تكون مع القوم، فإن خاضوا في ذكر الله فخُضْ معهم، وإن خاضوا في غير ذلك فاسكت".

– ***وقال أكثم بن صيفي*** ﷺ: "المكثار– أي الذي يُكثرُ من الكلام– كحاطب الليل".

قال أبو عبيد: "وإنما شبهه بحاطب الليل؛ لأنه ربما نهشته الحية، أو لسعته العقرب في احتطابه ليلاً". فكذلك كثير الكلام فيما لا يعنيه ربما أصابه في إكثاره من الكلام بعض ما يكره.

– ***وقيل لرجل:*** "بم سادكم الأحنف؟ فوالله ما كان بأكبركم سناً ولا بأكثركم مالاً، فقال: بقوة سلطانه على لسانه".

(١) واخزن: أي احبس.
(٢) وَرِق: بكسر الراء يعني الفضة وقد تُسكَّنُ.

– ***وقال بعض الحكماء:*** "مَن نطق في غير خير فقد لغا، ومَن نظر في غير اعتبارٍ فقد سها، ومَن سكت في غير فكرٍ فقد لها".

– ***وقيل للقمان الحكيم:*** "ما بلغ من حكمتك؟ قال: لا أسأل عما كُفِيته، ولا أتكلَّم بما لا يُعْنِيني".

وروي عنه أيضاً أنه قيل له: "ما بلغ بك ما نرى؟ قال: صِدْق الحديث، وأداء الأمانة، وتركي ما لا يعنيني". **(الآداب الشرعية:١/٣٩)**

– ***وقد روي عنه أيضاً:*** **"أنه دخل على داود عليه السلام وهو يسردُ درعاً، فجعل يتعجَّبُ مما يرى، فأراد أن يسأله عن ذلك، فمنعته حكمتك فأمسك، فلما فرغ داود عليه السلام قام ولبس الدرع، ثم قال: نِعْم الدرع للحرب، فقال لقمان: الصمت حكمة، وقليل فاعله".**

(مختصر منهاج القاصدين: ص١٨٤)

– ***وعن المُعَلَّى قال: "قال مورق العجلي:*** "أَمْرٌ أنا في طلبه منذ كذا وكذا سنة، لم أقدر عليه، ولستُ بتاركٍ طلبَه أبداً، قالوا: وما هو يا أبا المعتمر؟ قال: الكفُّ عمَّا لا يعنيني".

(الزهد للإمام أحمد: ص٣٠٥)، (الصمت لابن أبي الدنيا: ٥٧٠).

– ***وعن علي بن حملة قال: "قال عبد الله بن أبي زكريا الدمشقي:***

"عالجتُ الصمت عمَّا لا يعنيني عشرين سنة، قَلَّ أن أقدر منه على ما أريد".

(الحلية:٥/١٤٩)،(الزهد لابن أبي عاصم: ص٣٩)

– ***وقال أبو المعتمر البصري:*** "تعلمت الصمت في عشر سنين، وما قلت شيئاً قط إذا غضبتُ أندم عليه إذا زال غضبي". **(نزهة الفضلاء:١/٣٩٧)**

– ***وروى أبو عبيدة عن الحسن رحمه الله أنه قال:***

"من علامة إعراض الله تعالى عن العبد، أن يجعل شغله فيما لا يعنيه خذلاناً من الله تعالى".

- ***وقال الحسن أيضاً:***

"يا عجباً لابن آدم، حافظاه على رأسه، لسانه قلمهما، وريقه مدادهما، وهو بين ذلك يتكلَّم فيما لا يعنيه".

(الزهد للإمام أحمد: ص٤٣)

- ***وقال أيضاً:*** "مَن كَثُرَ ماله كَثُرَت ذنوبه، ومَن كَثُرَ كلامه كَثُرَ كذبه، ومَن ساء خلقه عَذَّب نفسه".

(الإحياء:٣/١٥٥)

- ***وعن زيد بن أسلم قال:*** "دخلنا على ابن أبي دُجانة وهو مريض، ووجهه يتهلَّل، فقال: ما من عملي شيء أوثق في نفسي من اثنتين: لم أتكلَّم فيما لا يعنيني، وكان قلبي للمسلمين سليماً".

(الصمت لابن أبي الدنيا:٧٥).

- ***وكان الربيع بن خثيم ﷺ يقول:*** "لا خير في الكلام إلا في تسع: تهليل، وتكبير، وتسبيح، وتحميد، وسؤالك من الخير، وتعوّذُك من الشر، وأمرُك بالمعروف، ونهيك عن المنكر، وقراءتك للقرآن".

- ***وقال يزيد بن أبي حبيب ﷺ:*** "مَن فتنة العالم أن يكون الكلام أحبّ إليه من الاستماع، فإن وجد مَن يكفيه فإن في الاستماع سلامة، وفي الكلام تزيين وزيادة ونقصان". **(الإحياء ٣/١٥٥)**

- ***ويقول سهل بن عبد الله:*** "مَن تكلم فيما لا يعنيه حُرِم الصدق".

- ***وكان مالك بن أنس ﷺ يعيب كثرة الكلام فيقول:*** "لا يوجد إلا في النساء أو الضعفاء".

(الآداب الشرعية لابن مفلح:١/٣٧)

- ***وكان محمد بن الفضل الحارثي ﷺ يقول: كان يقال:*** كثرة الكلام تذهب الوقار".

(حسن السمت في الصمت للسيوطي: ص٢٨)

- ***وقال رياح القيسي ﷺ: "قال لي عتبة الغلام:***

"يا رياح، إن كنت كلما دعتني نفسي إلى الكلام تكلَّمت، فبئس الناظر لها أنا، يا رياح! إن لي موقفاً يغتبط فيه بطول الصمت عن الفضول".

- ***وقال أبو جعفر محمد بن علي ﷺ:***

"كفى عيباً أن يبصر العبد من الناس، ما يعمى عليه من نفسه، وأن يُؤذِي جليسه فيما لا يعنيه".

- ***وكان عبد الله بن أبي زكريا:*** "إذا خاض جلساؤه في غير ذكر الله، رأيته كالساهي، فإذا خاضوا في ذكر الله، كان أحسن الناس استماعاً". **(الصمت لابن أبي الدنيا:٥/٧).**

– ***وقال أحدهم:*** "العجب ممَّن يتكلَّم بكلمة إن هي رُفعت ضرّته، وإن لم ترفع لم تنفعه".

– ***وكان أحدهم رأى بيتاً فقال:*** "متى بُنِيَ هذا البيت، ثم قال ما لكِ يا نفسي تتكلَّمين فيما لا يعنيك، والله لأعاقبنَّكِ بصيام سنة".

– ***ويقول إبراهيم بن عبد العزيز التيمي*** ﷺ: "المؤمنُ إذا أراد أن يتكلَّم نظر، فإن كان كلامه له، تكلَّم، وإن كان عليه، أمسَكَ عنه، والفاجر إنما لسانه رَسْلاً [1] رَسْلاً". **(الصمت لابن أبي الدنيا:٢٤٧)**.

– ***وقال الإمام الشافعي*** ﷺ ***لصاحبه الربيع:***

"يا ربيع، لا تتكلَّم فيما لا يعنيك، فإنك إذا تكلَّمت بالكلمة ملكتك ولم تملكها".

– ***ويقول أبو علي الدَّقاق*** ﷺ: "لو كنتم تشترون الكاغد– أي الورق– للحفظة لسكتُّم عن كثير من الكلام". **(شرح الأربعين النووية – حديث رقم (١٥): ص٥٠)**

– ***وقال مالك بن دينار*** ﷺ:"لو أن القوم كُلِّفُوا الصحف؛ لأقلوا المنطق". **(الحلية: ٣٧٥/٢)**

– ***يقول بعض الحكماء:***

"إن جسد ابن آدم ثلاثة أجزاء: أولها القلب، والثاني اللسان، والثالث الجوارح، وقد أكرم الله تعالى كل جزء بكرامة، فأكرم القلب بمعرفته وتوحيده، وأكرم اللسان بشهادة "أن لا إله إلا الله"، وتلاوة كتابه، وأكرم الجوارح بالصلاة والصوم وسائر الطاعات، ووكل على كل جزء رقيباً حفيظاً، فتولَّى سبحانه حفظ القلب بنفسه، فلا يعلم ما في ضمير العبد إلا الله، ووكل على لسانه الحفظة، **قال تعالى:** ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ **[ق:١٨]**، وسلّط على الجوارح الأمر والنهي.

ثم إنه يريد من كل جزء وفاء، فوفاء القلب أن يثبت على الإيمان، وأن لا يحسد ولا يخون ولا يمكر، ووفاء اللسان لا يغتاب، ولا يكذب، ولا يتكلَّم بما لا يعنيه، ووفاء الجوارح أن لا يعصي الله تعالى ولا يؤذي أحداً من المسلمين".اهـ

(١) رَسْلاً: ليِّناً مسترخياً لا تؤده فيه.

علاج فضول الكلام

يقول الغزالي ﷺ كما في كتابه "الإحياء"(٣/١٥٣):

"وعلاج ذلك أن يعلم أن الموت بين يديه، وأنه مسئول عن كل كلمة، وأن أنفاسه رأس ماله، وأن لسانه شبكة يقدر على أن يقتنص بها الحور العين، فإهماله ذلك وتضييعه خسران مبين".اهـ

فعلى العاقل الذي يرجو الله والدار الآخرة أن يكون مقبلاً على شأنه، حافظاً للسانه، بصيراً بزمامه، وأن يعد كلامه من عمله، فمَن عدّ كلامه من عمله قلَّ كلامه إلا فيما يعنيه".

– ومما يعين على ترك المرء ما لا يعنيه تذكُّر أن الواجبات أكثر من الأوقات، وأن العمر قصير *كما أخبر بذلك رسول الهدى في الحديث الذي أخرجه الترمذي وابن ماجه والحاكم أن النبي ﷺ قال:* **"أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين، وأقلهم من يَجُوزُ ذلك".** (صحيح الجامع:١٠٧٣)

فمثل هذا العمر الذي لا يكاد يتَّسِع لما يلزم ويجب، أفيتسع للفضول وما لا يعني؟!

– والمرء أيضاً مسئول عن عمره، فيم أفناه؟

كما جاء في الحديث الذي أخرجه الترمذي من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه، حتى يُسْأَلَ عن خمس: عن عمره فيم أفناه؟ وعن شبابه فيم أبلاه؟ وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه؟ وماذا عملَ فيما عَلِمَ؟".** (صحيح الجامع: ٧٢٩٩)،(الصحيحة:٩٤٦)

– وفي رواية أبي برزة الأسلمي وهي أيضاً عن الترمذي أن الحبيب النبي ﷺ قال:

"لا تزول قدما عبدٍ حتى يُسْأَلَ عن أربع: عن عمره فيم أفناه؟ وعن علمه ما فعل فيه؟ وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه؟ وعن جسمه فيم أبلاه؟". (صحيح الجامع ٧٣٠٠)

فاعلم أخي الحبيب... أن عمرك هو أغلى ما تملك، فلا تنفقه إلا فيما يعود عليك بالنفع، ولو أنفق الإنسان منا جميع ما يملك ليسترجع لحظة واحدة من لحظات حياته قد مضت، ما استطاع، فمن جهلنا بقيمة الوقت نفرح بمغيب شمس كل يوم، ونحن لا ندرك أن هذه نهاية يوم من أعمارنا لن يعود أبداً، صحائف طويت، وأعمال أُحصيت، وأنفاس انقضت.

– ***يقول الحسن البصري*** ﷺ: ***"ما مر يوم على ابن آدم إلا قال له:***

"ابن آدم إني يوم جديد وعلى ما تعمل فيّ شهيد، وإذا ذهبت عنك لم أرجع إليك، فقدِّم ما شئت تجده بين يديك، وأَخِّر ما شئت فلن يعود أبداً إليك".

– ***وكان سعيد بن جبير*** ﷺ ***يقول:*** "كل يوم يعيشه المؤمن غنيمة".

(تهذيب الكمال: ١٠/٣٦٦)،(قصر الأمل: ص١٠٦)

– ***وصدق سعيد بن جبير*** ﷺ: "فهناك مَن توقفت أنفاسه، وانقطعت أعماله، فلا يستطيع أن يزيد في حسناته حسنة واحدة، وأقصى أمنية له، أن يعود إلى الدنيا ليتحلَّل من المظالم، ويكثر من فعل الطاعات، ولا ينفق لحظة من لحظات حياته إلا في مرضاة رب الأرض والسماوات، ولكن حيل بينه وبين ما يشتهي".

فأنت أخي الحبيب في أمنية كثير من الأموات، فلا تُضَيِّع أوقاتك في غير طاعة، ولا تنفقها فيما لا يعود عليك بالنفع، فتندم يوم لا ينفع الندم، ***وقد روي في الحديث الذي أخرجه البيهقي:***

"ما من ساعةٍ تمر بابن آدم لا يذكر الله فيها إلا تحَسَّر عليها يوم القيامة".

– ***ويقول النبي*** ﷺ ***أيضاً كما عند الترمذي:***

"مَن قال: سبحان الله العظيم وبحمده؛ غُرِسَت له نخلة في الْجَنَّة".

فكم ضيَّعنا من نخيل؟ كم ضيَّعنا من نخيل؟

– ***يقول ابن قدامة*** ﷺ: "فاغتنم – رحمك الله – حياتك النفسية، واحتفظ بأوقاتك العزيزة، واعلم أن مدة حياتك محدودة، وأنفاسك معدودة، فكل نَفَسٍ ينقص به جزء منك، والعمر كله قصير، والباقي منه هو اليسير، وكل نفس جوهرة نفيسة لا عدل لها، ولا خلف منها.

فإن هذه الحياة اليسيرة خلود الأبد في النعيم المقيم أو العذاب الأليم، وإذا عادلت هذه الحياة بخلود الأبد علمت أن كل نفس يعدل أكثر من ألف ألف ألف عام في نعيم لا خطر له، أو خلاف ذلك.

فلا تُضيِّع جواهر عمرك بغير طاعة، وتذهبها بغير عوض، واجتهد أن لا يخلو نَفَسٌ من أنفاسك إلا في عمل طاعة، أو قربة تتَقَرَّبُ بها، فإنه لو كان معك جوهرة من جواهر الدنيا لساءك ذهابها، فكيف تفرط في ساعاتك وأوقاتك، وكيف لا تحزن على عمرك الذاهب بغير عوض". اهـ

- **فالسلف الكرام كانوا يدركون هذه الحقيقة، فكانوا لا يصرفون أوقاتهم فيما لا يعنيهم، بل تراهم في كل لحظة من لحظات حياتهم في طاعة أو قربة يتقَرَّبُون بها إلى الله تعالى.**

– ***فهاهو داود الطائي كان يسْتَفُّ الفتيت ويقول:***

"بين سفِّ الفتيت وأكل الخبز قراءة خمسين آية".

– ***وقال رجل لعامر بن عبد قيس:*** "قف أكلمك. فقال عامر له: أمسك الشمس".

– ***وكان أبو مسلم الخولاني يقول:***

"لو رأيت الجَنَّة عياناً ما كان عندي مستزاد، ولو رأيت النار عياناً ما كان عندي مستزاد".

– ***وهاهو أبو البركات جد شيخ الإسلام ابن تيمية*** رحمه الله:

"إذا أراد أن يدخل الحمام للاغتسال، يأتي بابنه، ويقول: يا بُنيّ اجلس عند باب الحمام، واقرأ وارفع صوتك". يقول له ذلك حتى يستفيد من هذه اللحظات التي يقضيها في الخلاء".

– ***وصدق القائل حيث يقول:***

إذا مرَّ بي يومٌ ولم أقتبس هدى ولم أستفد علماً فما ذاك من عمري

– ***ويقول ابن الجوزي*** رحمه الله ***كما في كتابه "صيد الخاطر":***

"لما رأيت الزمان أشرف شيء والواجب انتهازه بفعل الخير كرهت ذلك– أي ما اعتاده الناس من كثرة الزيارة– وبقيت معهم بين أمرين: إن أنكرت عليهم وقعت الوحشة، وإن تقبَّلته منهم ضاع الزمان، فصرت أُدافع اللقاء جهدي، فإذا غلبت قصَّرت في الكلام لأتعجَّل الفراق، ثم أعددت أعمالاً لا تمنع من المحادثة لأوقات لقائهم؛ لئلا يمضي الزمان فارغاً، فجعَلت من المستعد للقائهم قطع الكاغد (الورق)، وبري الأقلام، وحزم الدفاتر، فإن هذه الأشياء لابد منها، ولا تحتاج إلى فكر وحضور قلب، فأرصدتها لأوقات زيارتهم لئلا يضيع شيء من وقتي".

- ***وكان عطاء بن أبي رباح*** ﷺ ***يقول:*** "إن مَن كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام، وكانوا يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب الله تعالى أن تقرأه، أو تأمر بمعروف، أو تنهى عن منكر، أو تنطق بحاجتك في معيشتك التي لابد لك منها. أتنكرون أن عليكم حافظين، كراماً كاتبين، عن اليمين وعلى الشمال قعيد، ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد، أما يستحي أحدكم أن لو نشرت صحيفته التي أُمْلَى صدر نهاره، كان أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه".

(سير أعلام النبلاء:٥/٨٦)،(الصمت لابن أبي الدنيا:٢٤٠)

- ***وصدق القائل حيث قال:***

دع عنك ما قد فات في زمن الصبا — واذكر ذنوبك وابكها يا مذنب
لم ينساه الملكان حيث نسيته — بل أثبتاه وأنت لاهٍ تلعبُ

موعظة:

يا كثيرَ الكلام حسابك شديد، يا مؤثراً ما يضره ما رأيك سديد، يا ناطقًا بما لا يجدي ولا يفيد:

﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨]، كلامك مكتوب، وقولك محسوب، وأنت يا هذا مطلوب، ولك ذنوب وما تتوب: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾، أتظن أنك متروك مُهْمَل، أم تحسب أنه يُنْسى ما قد تعمل، أوتعتقد أن الكاتب يغفل، يا قاتلاً نفسه بكفه لا تفعل، يا مَن أجلُه ينتقص ولا يزيد:

﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨]

وبعد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة

نسأل الله أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منَّا بقبول حسن، كما أسأله ﷻ أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان على إخراجها ونشرها.....إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا بشأن أي عمل بشري يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صواباً فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي

وإن وجدت العيب فسد الخللا جلّ من لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحاً ولوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه نصيب

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله تعالى أعلى وأعلم.....

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك